مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 2 خ / 16 /03/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

أخلاقيات الطب عند ابن سينا

Medical ethics at Ibn Sina

مختبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر/ كلية العلوم الإنسانية/ جامعة الجزائر2/ الجزائر	فلسفة	فريدة أولمو farida oulmou Farida0808@gmail.com

Doi : 10.46315/1714-010-002-013

الإرسال: 2020/04/11 **القبول**: 2020/09/13 **النشر**: 2021/03/16

ملخص: "إن الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة... "ولقائل أن يقول إن الطب ينقسم إلى نظر وعمل " بهذه العبارة اشتهر مفهوم الطب من زمن ابن سينا وربما قبلها وبعدها وإلى أيامنا هذه.

ونحاول في هذه الدراسة الوقوف على المزاوجة بين الطب والفلسفة وبين العقل والتجربة، من خلال الرجوع إلى التراث الإسلامي إطلالة وإشباعا لعبقرية ابن سينا في الطب نظريا وعمليا وأخلاقيا. وعليه، حاولنا الإجابة عن مجموعة تساؤولات: ما الأخلاقيات الطبية في التراث الإسلامي؟، وكيف استطاع ابن سينا ان يخلف لنا القانون في الطب؟؛ كيف زاوج بين الفلسفة والعلم وهل كان له أن يقضي على الكورونا لو توفرت له مخابر البحث والتكنولوجيا كما في زمننا هذا؟

كلمات مفتاحية: الطب؛ ابن سينا؛ الصحة، الأخلاقيات الطبية.

Abstract: (English)

Medicine is a science from which the conditions of the human body are recognized by what is correct and goes away from health in order to preserve the health that is occurring and retrieve it transiently ... and for someone to say that medicine is divided into consideration and action. Corona: Where science stops and philosophy stops and the human mind is unable to mix between medicine and philosophy and between reason and experience despite all the medical and biological technological advances that advanced societies have reached, as man imagined. Avicenna's medicine at The time of wisdom, honesty, knowledge, and the validity of the word from which medicine was derived, and accordingly: What are medical ethics in Islamic heritage ?, How did Ibn Sina succeed us in the law in medicine? In our time?

Keywords : : Ibn Sina; health; Medical ethics. Medicine.

1مقدمة: الطب وبكل بساطة هو سعي الإنسان إلى معالجة علله الجسدية وأمراضه المتعددة بتعدد الأسباب والأوجاع والآلام ، ولأن الطب ليس وليد حضارة واحدة وحدها ولا لصيق بالحضارة الغربية أو العربية فقط ،كثر الجدل حول أهميته ومكانته في كل حضارة من الحضارات الإنسانية التي ساهمت بشكل وبآخر في القضاء على الداء الذي مس الإنسان، ومهما اختلفت سبل العلاج والتطبيب فقد كانت ولا تزال الأخلاقيات الطبية لصيقة بالطب ومكملة له منذ بدأ هذا العلم في حضارات قديمة توالت فيها الأخلاقيات العملية للممارسة الطبية حفاظا على وحفاظا لكرامة الإنسان قبل القضاء على العلل الجسدية والأمراض البسيطة منها والمستعصية؛ ولأن الترويج الغربي والإستشراقي لتفوق الغرب في مجال العلوم المختلفة ولهذا موضوع مؤلم ومؤرق للفكر ارتأيت الكتابة في موضوع الأخلاقيات الطبية في التراث الإسلامي، واتخذت لهذه الأخلاقيات "ابن سينا الطبيب الفيلسوف" الذي يعرفه العام والخاص، ويعترف ب"قانونه في الطب"، الشرق والغرب على السواء وليس المقصود بالأخلاقيات الطبية في التراث الإسلامي الأخلاق العملية في إسكان ألام الأجساد فقط بل الولوج إلى الجوانب الروحية والنفسية من حيث الممارسة العلاجية .

تكمن أهمية الموضوع إذن؛ في إزالة الغبار عن التراث الإسلامي العلمي الذي نهل منه الغرب ولايزال ينهل منه وينسب إليه الدلالات والمعاني العلمية والأخلاقية الإبستمولوجية في حين نبقى مستوردين ومستهلكين لتراثنا بلسان غيرنا وبرؤيته وكيف ما أراد؟.

من المؤرق للفكر أن يسألك الطلبة عن الأخلاقيات الطبية عند الغرب وعندما تشير إلى الرازي أو ابن سينا، أو الزهراوي أو ابن النفيس وغيرهم يجيبونك ببساطة " فات وقتهم وانتهى"،...أو يخبركم أحدهم أنهم لم يكونوا أصلا علماء ، ويستدل الطلبة بآراء ريمان وقولد زيهر وغيرهما ممن اعتبر فلاسفة العرب وعلمائها مجرد ناقلين لأفكار اليونان وترجمتها إلى لغة أدبية .

ماذا يعرف طلبتنا عن التراث العلمي الإسلامي؟

ولماذا استطاع الغرب الترويج للعلوم المختلفة ونسبها إليهم ولم نتكن نحن (أمة الإسلام) من استرجاع مجد علمائنا والترويج لأفكارهم ؟

لماذا حبست ثقافتنا وتراثنا في خزائن القرون الوسطى لم تجد حراكا ولا مخرجا؟

لماذا الحديث عن أخلاقيات كانت لنا من التراث الإسلامي ومن تكامل وتضايف وتزاوج العلم بالعقل والدين، لم نؤسس لها ولم نؤصل، فأصبحت لغيرنا، وأصبح تداولها عند الغرب مخرجا لأزمة كرامة الإنسان، ومفخرة للدفاع عن الإنسان الجسد، والإنسان الخلية البيولوجية والإنسان المستنسخ؟

يتوجب علينا الرجوع إلى التراث الإسلامي والعربي والرجوع إلى رواد ومؤسسي الطب الحديث الذي يتغنى به الغرب والعرب معا.

و يتوجب علينا التأصيل لمؤسسي الأخلاقيات الطبية في الحضارة الإسلامية تنظيرا وممارسة وهذا ما أستهدفه في هذا النص العلمي الذي سأكتفي فيه بالاستناد إلى النصوص والمصادر الإسلامية والعربية التراثية في مفهوم الطب وأسسه وأخلاقياته ؛ وسأطرح القضايا الطبية السيناوية (**السيناوية يقصد بها دراسات ابن سينا الطبيب الفيلسوف**) للنقاش والتحليل ، فلربما استفاد منها الطلبة مستقبلا ولو كتنبيهات أو إشارات .

1. **في مفهوم الطب (الدلالة والاصطلاح):** سأكتفي في هذا المقام ببعض التعريفات اللغوية كما جاءت في القاموس المحيط، أو لسان العرب، **حصرا وقصدا**، واستناداً إلى قاموس المعجم الوسيط في اللغة العربية تستخدم لفظة (طِبّ) ومصدرها (طَبّ) للتعبير عن علاج الجسم والنفس، ومنه علم الطِبّ، والطِبّ الرفق وحسن الاحتيال، والطِبّ السحر.

واستناداً إلى معجم المعاني الجامع فإن الطِبّ في اللغة هو علمٌ بقوانين يُعرف بها حالات الصحة والمرض وتأثير الأدوية، وعلم الطِبّ هو علم دراسة أسباب الأمراض البشرية ومعالجتها بما في ذلك طرق المداواة والشفاء المتعلقة بالأمراض التي يعالجها الطبيب أو الجرّاح(راجع معجم المعاني الجامع –ع معجم عربي عربي وغيرها من المعاجم تتفق معظمها في تعريف الطب).

وهو عند العرب "الطب" بتثليث الطاء وهو بمعنى الحذق والمهارة فيقولون فلان " طب بالأمور" أي : يسوسها بتلطف ورفق، ومن الأسماء العربية للطبيب: "الطب" و"الآسي" وعند العامة " الحكيم" ربما لأن الأطباء كانوا حكماء (فلاسفة)(المعلوف ع،إ، 2014م،40)

واعتبر الطب الذي يبحث في صحة الجسم الإنساني ومرضه فرعا من فروع العلم الطبيعي الذي هو بدوره فرع من فروع الفلسفة.

ومنها جاء الاصطلاح في الطب وفي أسسه وقواعد ممارسته والذي عرفته الحضارة الإسلامية وتم تداوله في التراث جملة وتفصيلا إذ نجد :

- للكندي (805-873م) مؤسس الفلسفة العربية الإسلامية أكثر من ثلاثين أطروحة في الطب يبدو فيها تأثره بجالينوس وتجاوزه له في عدة حالات جمع فيها بين الرياضيات وفن التطبيب ولاسيما الصيدلة. ونجد أشهر أعماله " **رسالة في قدر منفعة صناعة الطب".**
- **الفارابي** (874- 950م) الذي اطلع عليه: " فهو صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة تحفظ بها الصحة".
- **ابن خلدون** يقول :" ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب، هي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها ضغط الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية..."(كرم،1946م، 345)
- **وذكر داوود الأنطاكي** في مقدمة كتابه" **المذكرة**" أن الطب من أعظم وأسمى الصناعات والحرف ولا يمكن لعلم من العلوم أن يتجاوز علم الطب أو يتجاهله " **لأن اكتساب العلوم لا يتم إلا بسلامة البدن والحواس والعقل...".**
- أما **ابن سيناء**(980-1037م) الحكيم فقد تفنن وتوغل وفصل في الاصطلاح قائلا:" إن الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة. ولقائل أن يقول إن الطب ينقسم إلى نظر وعمل، وأنتم قد جعلتم كله نظرا إن قلتم إنه علم، وحينئذ نجيب ونقول إنه يقال إن من الصناعات ما هو نظري وعملي ومن الحكمة ما هو نظري وعملي ويقال إن من الطب ما هو نظري وعملي...فإذا قيل إن من الطب ما هو نظري ومنه ما هو عملي، فلا يجب أن يظن أن مرادهم فيه هو أن أحد قسمي الطب هو تعليم العلم والقسم الآخر هو مباشرة العمل كما يذهب إليه وهم كثير من الباحثين عن هذا الموضع...بل يحق عليك أن تعلم أن المراد من ذلك شيء آخر وهو أنه ليس واحد من قسمي الطب إلا علما، لكن أحدهما علم أصول الطب والآخر علم كيفية مباشرته. ثم يخص الأول منهما باسم العلم أو بسم النظر، ويخص الآخر باسم العمل، فنعني

بالنظر منه ما يكون التعليم فيه مقيد الاعتقاد فقط من غير أن يتعرض لبيان كيفية عمل... ونعني بالعمل منه لا العمل بالفعل ولا مزاولة الحركات البدنية بل القسم من الطب الذي يفيد التعليم فيه رأيا وذلك الرأي متعلق ببيان كيفية عمل...فهذا التعليم يفيدك رأيا هو بيان كيفية العمل. فإذا عملت هذين القسمين فقد حصل لك علم علمي وعلم عملي وأن لم تعمل قط...". (العيادي، س،2016م،98)

إن التمعن والتدقيق في هذا المفهوم السيناوي للطب يحيلنا إلى فهم مصطلح الطب وعلم الطب وكذا الممارسات الطبية على حد سواء، وهذا التفصيل والتدقيق لا يأتي إلا من فيلسوف عالم حكيم فهم العلم النظري وأسقطه على الممارسة العلمية العملية حيث جاء في **مقدمة كتاب القانون**"...أردت أن أصنف في الطب كتابا مشتملا على قوانينه الكلية والجزئية؛ اشتمالا ل إلى الشرح والاختصار، وإلى الإيفاء الأكثر حقه من البيان والإيجاز..."؛ **فمن هو ابن سيناء وماهي أصول وأسس وأخلاقيات علم الطب عنده؟**

2. **ابن سيناء الطبيب" الفيلسوف الحكيم" (** نقل ابن أبي أصيبعة في كتابه **" عيون الأنباء في تاريخ الأطباء" ،(منشورات دار مكتبةالحياة، بيروت ، لبنان، 1965م)**،سيرة ابن سينا لمن يريد التفصيل في حياته ونشأته وظروف تعلمه الطب والفقه والفلسفة والشعر وما كان له من علوم عصره).

هو القائل في كتاب "النجاة": "فلابد في وجود الإنسان وبقائه ومعاملته ومشاركته ولا تتم هذه المشاركة إلا بمعاملة كما لابد من ذلك من سائر الأسباب التي تكون له، ولابد في المعاملة من سنة وعدل ولابد للسنة والعدل من سان ومعدل، ولابد أن يكون هذا بحيث يجوز أن يخاطب الناس ويلزمهم السنة، ولابد من أن يكون هذا إنسانا ، ولا يجوز أن يترك الناس وآراءهم في ذلك فيختلفون ويرى كل منهم ماله عدلا وما عليه ظلما..."(لمزيد من التفاصيل راجع : ابن سينا: كتاب النجاة، بدون تاريخ.)

برع ابن سينا في الطب حت لقب بشيخ الأطباء لكن براعته في الفلسفة أيضا لم تقل عن براعته في الطب، فقد كان من أبرز فلاسفة الإسلام بما كان له من نظريات وأفكار

فلسفية أصيلة لم تكن مجرد تناقل لأفكار اليونان أو شرحا لها فقط ،بل تجاوز حد المثاقفة إلى الإبداع والابتكار في مجالات مختلفة؛ ترك الشيخ الرئيس ابن سينا كثير الأعمال والمؤلفات العلمية والفلسفية والدينية ، كان عالما فذا في مختلف ميادين المعرفة، و"...كما كان شيخا للأطباء، فقد كان أيضا من أعلام الفلسفة والمنطق وعلم النفس والدين والفقه والفلك، ولقد حصر الذين درسوا حياة ابن سينا أعماله ، واتفق أغلبهم عل أن أعمال هذا العالم الفيلسوف الفذ قد بلغت حوالي276 كتابا في شت ميادين العلم والمعرفة..."(محمد،ع،2003م،23).

ويعترف ابن سينا للفارابي بفضل كبري في تحصيل المعارف الإلهية، فقال: "قرأت كتاب ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه، والتبس عليَّ غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظا، وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به، وأيست من نفسي وقلت هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه، وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين، وبيد دلال مجلد ينادي عليه، فعرضه عليَّ فرددته رد متبرم معتقد أن لا فائدة من هذا العلم، فقال لي: اشتر هذا مني فإنه رخيص أبيعكه بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج إلى ثمنه. فاشتريته فإذا هو كتاب أبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة، ورجعت إلى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح عليَّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب، بسبب أنه كان لي محفوظا على ظهر قلب، وفرحت بذلك، وتصدقت في ثاني يوم بشيء كثير على الفقراء، شكرا لله تعالى ..." (العقاد،ع،2013م،11).

أما عن موضوع دراستنا "علم الطب " فيقول الشيخ الرئيس:" لقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب وأنا ابن عشرين سنة، وصارت أبواب العلم تتفتح علي؛ **ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه؛ حتى بدأ الفضلاء يقرؤون علي هذا العلم، وتعهدت المرضى، فتفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة : مالا يوصف .وأنا مع ذلك اختلف الى الفقه وأناظرفيه ؛ وأنا في هذا الوقت من ابناء ست عشرة سنة ، وفي هذه المدة ما نمت ليلة بطولها ولا انشغلت في النهاربغيرها**؛ ولما بلغت ثماني عشرة سنة، كنت قد فرغت من قراءة كتب العلوم كلها، فأخذت أصنف منها ولي إذ ذاك إحدى وعشرون سنة"(ابن سينا، القانون، من المقدمة).

ويعبر الشيخ الرئيس عن دوافع تأليف كتاب " القانون" في الصفحة الأولى منه: " فقد التمس مني بعض خلص إخواني، ومن يلزمني اسعافه بما يسمح به وسعي، أن أضيف في الطب كتابا مشتملا على قوانينه الكلية والجزئية ، اشتمالا يجمع الى الشرح والاختصار ، والى إيفاء الأكثر حقه من البيان والإيجاز فأسعفته بذلك ، ورأيت أن أتكلم أولا في الأمور العامة الكلية في كلا قسمي الطب وأعني : القسم النظري ، والقسم العملي ثم بعد ذلك أن أتكلم في كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ، ثم في جزئياتها . ثم بعد ذلك في الأمراض الواقعة بعضو عضو : فأبتدئ أولا بتشريح ذلك العضو ومنفعته ثم إذا فرغت من تشريح العضو : ابتدت في أكثر المواقع بالدلالة على كيفية حفظ صحته ، ثم ذللت المطلق على كليات أمراضه وأسبابها وطرق الاستدلال عليه " تشخيصها " وطرق معالجتها بالقول الكلي أيضا؛ فإذا فرغت من هذه الأمور الكلية أقبلت على الأمراض الجزئية " (جاءت النسخة الأولية من الكتاب المطبوع في حوالي 1541 صفحة من القطع الكبير وبدون عناوين أو فواصل وكان الخط من الحجم الصغير والمثبت فيه أنه ينقسم إلى خمسة أقسام أو فنون وكل فن ينقسم إلى فصول).

كما لا يخفى علينا أن ابن سينا نظم **أرجوزة في الطب** يزيد عدد أبياتها على الألف بيت (1362بيتا بالتدقيق والتمحيص)؛ حاول من خلالها تسهيل دراسة الطب وحفظه وإيجازه ، كما أثبت من خلالها قدرته على نظم الشعر العلمي الدقيق مما جاء في مقدمتها:

الحمد لله الملك الواحد رب السموات العلي الماجد

سبحانه منفرد بالقدم مخرج موجوداتنا من عدم

بفيض نوره على عقولنا حتى بدى الخفي من معقولنا

بفضله قد خلقا الإنسانا فضله بالنطق واللسانا

يوحى إليه العلم بالإحساس كما بدى الخفي بالقياس

والشعراء أمراء الألسن كما الأطباء ملوك البدن

هذا سن النفس بالفصاحة وذا يطب الجسم بالنصاحة

وهذه أرجوزة قد اكتمل فيها جميع الطب علما وعمل.

(ترجمة الأرجوزة أول مرة إلى اللغة اللاتينية لأول مرة في القرن الثاني عشر الميلادي من قبل جيرار الكريموني وذلك في طليطلة الأندلس والتي كانت آنذاك مركز النقل والترجمة. راجع : الدكتور برهان العابد: **مختارات من تاريخ الطب**، منشورات جامعة دمشق،199م،ص755.)

هذا وقد ترجم شرح ابن رشد لها في القرن الثالث عشر الميلادي في أول مدرسة طبية في أوربا أنشئت سنة 1220م ، ويعتبر شرح ابن رشد لها أشهر وأوفى شرح لها معرفيا وعلميا. أما الطبعة التي جمعت بين النص العربي والترجمتين الفرنسية واللاتينية طبعت في باريس سنة 1956م وحققها الأستاذان هنري جاديه وعبد القادر نور الدين من جامعة الجزائر؛ كما ألف ابن سينا في الوصايا الطبية 71 بيتا.

ومما لا يخفى على دارس أو باحث في الفلسفة أن موسوعية ابن سينا في الفلسفة هي التي جعلت منه طبيبا عظيما حتى أن مؤرخي الفلسفة في العصر الوسيط في أوربا كانوا يصنفون الفلاسفة الأوروبيين إلى فلاسفة رشديين وسيناويين نسبة إلى ابن رشد أو ابن سينا.

3. **مناهج التطبيب عند ابن سينا:**

- **تصنيف أمراض الجسم حسب فصول السنة:** اشتهر ابن سينا بتصنيف بعض الأمراض وربطها بفصول السنة لما لها من علاقة سببية بالبيئة الطبيعية وبالمناخ كالحرارة والبرودة والهواء وهذا التصنيف تأكد حسب رأيه بالتجارب الميدانية وواقع المعالجة العملية مع مرضاه

يقول ابن سينا " وتعهدت المرضى؛ فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف"(ابن ابي صبيعة،ج1،77)؛ وعطفا عليه فإن:

فصل الربيع: فهو حار رطب، أما حرارته فلقرب الشمس في كل يوم فيه مساحة الرأس وأما رطوبته فلأن الرطوبة الشتوية لم تكن قد تحللت بعد، وهو أفضل الفصول وأنسبها للأبدان الصحية لمناسبته لمزاج الأورام والدم، ويحمر اللون ويجلب الدم إلى الخارج باعتدال، وهو غير مناسب للأبدان السقيمة خصوصا ذات الأمراض المزمنة كالأورام

والدمال والخوانيق والصداع العروق والسعال وضيق النفس، الربو، والسكتة والفالج ووجع المفاصل.

فصل الصيف: فهو حار يابس، أما حره فلقرب الشمس من مساحة الرؤوس وأما يبسه فلكثرة تحلل المواد فيه لفرط حرارة الهواء وقلة وقوع الإنداء في بعض المواقع وعدمها في البعض الآخر...، يساعد هذا الفصل في ظهور الأمراض الحادة كالجدري والحصبة والرمد ووجع الأذن.

فصل الخريف: فبارد ويابس أما برده فلأن الشمس في كل يوم تأخذ في التباعد عن مساحة الرأس، أما يبوسته فلتحلل المواد الرطبة... وهو فصل رديء ضار لاختلاف هوائه ومن أمراض الخريف الجرب وتقشير الجلد وكثرة الأورام كالطحال، عسر البول ومرض الرئة والسعال ويكثر فيه الجنون.

فصل الشتاء: طبيعته باردة ورطبة، أما برده فلبعد الشمس عن مساحة الرؤوس، وهذا الفصل يجتمع فيه الحر الغريزي داخل البدن ويقوى ويجود فيه الهضم، وهو موافق للمحرورين غير موافق للمشائخ وفي هذا الفصل يكثر البلغم فتحدث النزلات والزكام وذات الجنب والصداع.

وقد برر ابن سينا ظهور أو حدوث مجموعة من الأمراض بالرجوع إلى التغيرات المناخية في الفصول الأربعة كالأهواء والرياح كما أوضحنا؛ وإلى أنواع المطاعم والمشارب والبلدان والمساكن وأنواع الصناعات، كذلك يرجعها إلى الأمزجة ويلخص هذا في عبارته " الأعضاء والأرواح الحاملة لها"(يقصد ابن سينا بما يسميه الأرواح جواهر لطيفة تتولد في الجسم لطافة الأخلاط بحسب المزاج بحيث يستعد العضو الذي هو فيه لقول فعل القوى النفسانية المؤثرة في الحس والحركة وهذا تصور قديم). (ابن سينا ،، المجلد الأول،ص67).

وخلاصة هذا أن الشيخ الرئيس كان كثير المزاح في وصف الأمزجة والأخلاط وفي تنوعها بتنوع الأقاليم والبيئات، بل كان يرد حفظ الصحة والعلاج إلى ارتباطه بها وإلى العلة الأولى معبرا عن ذلك "...إن مبادئ العلوم الجزئية مسلمة وتبرهن وتتبين في علوم أخرى أقدم منها، وهذا حتى ترتقي مبادئ العلوم كلها إلى الحكمة الأولى التي لها علم ما بعد الطبيعة..."

- **الوقاية:** يعرف الجميع ويردد عبارة " **الوقاية خير من العلاج**" أما الشيخ الرئيس فيعتبر "...هذا التدبير هو حفظ الصحة على المرض وحفظ الصحة أولى بأن يتقدم ذكره لأنه أجل من مداواة المرضى وأعظم نفعا إذا كان الغرض المقصود إليه صناعة الطب هو حفظ الصحة..."(ابن سينا،3).

ويضيف ابن سنا :"إن حفظ الصحة أجل من معالجة المرض لأن الصحة في الأصحاء موجودة وفي المرضى معدومة، وحرز الشيء الموجود أجل من طلب الشيء المفقود..." وهذا لأنه يعير أهمية كبرى للوقاية بل يقدمها على الجانب العلاجي معتبرا الطب علم يعرف منه بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عنه لتحفظ الصحة حاصلة وتسترد -كما ذكرنا أنفا- وحفظ الصحة عن الأصحاء هو ما يقصد به الوقاية حاليا واستردادها يقصد بهه العلاج والتداوي.

لأجل هذا وفي كتابه القانون عالج كل ما يتعلق بموضوع **التربية** ففصل في العناية بالطفل وتربيته خصص في الكتاب الأول من كتاب القانون في الطب للحديث عن تربية الأطفال وأمراضهم، وقد سماه التعليم الأول في التربية، وقسمه إلى أربع مقالات:

في **المقالة الأولى**: تناول الحديث عن تدبير المولود منذ أن يولد إلى أن ينهض. ويذكر في هذا أن أول ما يجب على الطبي عمله أن يبدأ بقطع السرة نحو أربعة أصابع ويغسل جسمه، ويلبس ويقطر في عينيه وينظف منخره، وينبغي أن يوضع في مكان معتدل الهواء ليس ببارد ولا حار...ويجب أن يكون إحمامه بالماء المتعدل صيفا وبالماء المائل إلى الحرارة غير اللاذعة شتاء... ثم يقطر في أنفه الزيت العذب .

وفي **المقالة الثانية:** بحث عن الإرضاع، وفي ذلك ألح **على أن يرضع الطفل لبن أمه** ما أمكن فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم، ثم تحدث عن موضوع النظام، وأكد أن يكون تدريجيا وقد أجمع الأطباء المسلمون وغيرهم في زمننا هذا على أن لبن الأم هو أفضل أنواع الحليب للطفل، وتطرقوا إلى نوع الغذاء الذي ينبغي أن تتناوله الأم المرضعة...، فيجب أن يعتنى بغذائها فيجعله

متوازنا متنوعا وأن تتوقف عن الإرضاع في حالة مرض معد أو تناول دواء قد يؤثر على صحة الرضيع وهذا ما كان ابن سينا قد أشار إليه في القانون تفصيلا منذ زمن بعيد(ابن سينا،ج1،203 -205بتصرف)

أما **المقالة الثالثة**: فقد تحدثت عن بعض أمراض الطفولة وضرورة الوقاية منها مبينا رأيه العلمي الدقيق "... ولا يجوز أن يحمل الطفل على المشي والقعود قبل انبعاثه إليه بالطبع، فيصيب ساقيه وصلبه آفة".

وأما في **المقالة الرابعة**: فقد تناول تدبير الطفل وتربيته حتى سن البلوغ، وفيه يستعرض ابن سينا فصول التربية النفسية للأطفال وفق أحسن الطرق التربوية المعروفة حاليا .

وقد خالف ابن سينا المنهج اليوناني في الطب وغاير مبادئه الاستنتاجية القياسية القائمة على المنطق وقرر للطب عنده المنهج التجريبي القائم على الملاحظة والتجربة الإستقرائية تدرجا من دراسة الجزئيات إلى وضع القوانين العامة كأن أولى أهمية بالغة لفحص البول وتغير لونه، ومدى صفائه ورائحته، ويوصي الأطباء في المستشفى بضرورة مراقبة المريض بدقة، وتدوين الملاحظات التي تطرأ عليه وتعليق الملاحظات على سريره كما يحدث في مستشفياتنا اليوم.

وعن طريق المنهج التجريبي والملاحظة الدائمة استطاع تشخيص بعض الأمراض والفصل فيها وفيما شابهها من أمراض كالفرق بين المغص الكلوي والمعوي، والالتهاب الرئوي. (ابن سينا،ج2،370) .

ومن أنماط الوقاية عند ابن سينا الطبيب **شرب الماء والتغذية الصحية** والموازنة بين جسم الإنسان ووقت الغذاء؛ ومن أمثلته الكثيرة والكثيفة في هذا المجال :

- أكل البلح جيد للثة وهو يغزر البول وإذا شرب بخل منع سيلان الرحم ونزف البواسير.

- أكل الثوم يقلل الصداع، وطبخ الثوم وشويه يسكن وجع الأسنان ...ويصفي الحلق وينفع في السعال الحاد والمزمن وأوجاع الصدر من البرد ويخرج العلق من الحلق .
- الحلتيت جاء وصفه مفصلا في كتاب القانون ومن آثاره الطبية أنه يكسر الرياح ويطردها لتحلله لها في المعدة والأمعاء وينفع في داء الثعلب، وإذا استعمل في المأكولات حسن اللون، وإذا شرب بماء الرمان نفع في شرخ العضلات، ....، وإذا استعمل بالتين اليابس نفع من اليرقان، ينفع في البواسير وفي قروح الأمعاء؛ ويوضع على عضة الكلب والعقرب والرتيلاء وينفع في جميع ذلك شربا وطلاء بالزيت.
- أما عن الماء فهو يحفظ رطوبة الجسم ويقمع الحرارة وهو يرافق الغذاء إلى العروق، فماء المطر مثلا أخف أنواع الماء وألطفها وهي نافعة للسعال وغسل المعدة من فضلات الغذاء (تستعمل في الرقية الشرعية بالمفهوم المعاصر).
- أما ماء البحر فيقتل القمل ويحلل الماء المنعقد تحت الجلد وينفع في الحكة والجرب والرعشة والفالج وأوجاع المفاصل، لكنه رديء للمعدة.
- وماء النحاس ينفع الفم والأذن أما الماء المعدني يعسر البول والحيض والولادة. (ابن سينا،ج1 ،180).

وفي هذا ردد قائلا:

وإن شئت إن تنجو من التبات .....فالجوف قسمه إلى ثلاث

للنفس الثلث والغذاء..... ثلث والباقي مكان الماء

قليل ماء بارد يرويكا..... وكثرة الفاتر لا يشفيكا

هذا وقد كانت لكل هذه الوصفات الوقائية أو الدوائية مفردها ومركبها تجربة بل تجارب عينية ، فقد لجأ ابن سينا إلى التجربة وكان الوصف والتعريف أولى المراحل التي خاضها في المنهج الجريبي

العلاجي والصيدلاني ومن أجمل ماقيل في الوقاية علما وفلسفة وذوقا وجمالا عند المرأة الحامل قول ابن سينا في هذه الأبيات:

الطفل يحفظ في بطن أمه كي لا يصيبه أفة في جسمه

فاحتط على الحامل في وعدتها كي لا ترى الفساد في شهوتها

ويصلح الدم وينقى الفضل ذاك الذي يكون منه الطفل

إن هاجمها الدم فلا تقصدها بل بالبرودة والطافي قصدها

أو هاجمها خلط فلا تسهلها بل بتلطيف له عاملها

- **الطب النفسي:** كان للفلسفة الإسلامية وقع كبير على حياة ابن سينا الطبية لاسيما في مجال الدراسات النفسية وهذا لقدرته الفكرية الواسعة في إدراك خبايا النفس البشرية وتفكيكها وتشريحها فلسفيا وإدراك العلاقة الترابطية بين الوظائف النفسية والوظائف الجسمية من حيث نظرته التكاملية للشخصية الإنسانية، وقد سبق ابنُ سينا والفارابي العلماءَ المُحدَثين في ذكر أهمِّ أسباب حدوث الأحلام، فذكرَا أن الأحلام تحدث بسبب تأثير بعض المؤثرات الحِسِّيَّة التي تصدر من خارج البدن أو من داخله، كما أشارا إلى المعاني الرمزية للأحلام وكذلك إلى دور الأحلام في إشباع الدوافع والرغبات. ابن سينا الذي عني بعلم النفس عناية لا نكاد نجد لها مثيلاً لدى أحد، فألم بمسائله المختلفة إلماماً واسعاً، واستقصى مشاكله وتعمق فيها تعمقاً كبيراً، وأكثر من التأليف فيه بشكل ملحوظ، حتى أننا نراه يستخدم مصطلح علم النفس في مقالته الأولى في كتابه «الشفاء». ويعد أول الفلاسفة القدماء الذين ربطوا وظائف الإحساسات والخيال والذاكرة بشروطها الفزيولوجية، كما أن له فضلاً في توضيح أوجه الشبه بين إدراك الحيوان وإدراك الإنسان، ولم يسبقه أحد في إلقاء الضوء على علم النفس الإنساني التجريبي، كما ميز الإدراك وميز فيه ثلاثة أنواع: إدراك حسي بالحواس الظاهرة، وإدراك باطني يدرك ما لا يدركه الحس، وإدراك عقلي يتم بقوة الذهن.

كما تميز ابن سينا بمعالجته لمفهوم "الوعي بالذات" أو "الشعور بالذات" إذ يتلاءم مذهبه مع النظرية السيكولوجية الحديثة الخاصة بالشعور وأقسامه، ثم قدم البراهين على لا مادية النفس ومباينتها للجسم بصورة منطقية، وكان أول من لجأ إلى التجربة النفسية، وتمثل رسالته "**في النفس وبقائها ومعادنها**" التي وضعها في ستة عشر باباً خلاصة آرائه وتجاربه من دراسته للنفس، ويكفيه اعتراف عالم النفس الأميركي هليجارد بأنه أول من تعرف على ما يعرف اليوم باسم الأمراض الوظيفية، والتي تقال في مقابل الأمراض العضوية، وهي أمراض نفسية الأسباب والنشأة، ويعد ابن سينا أسبق من استخدم ما يعرف بالعلاج بالصدمات، وبالتالي أفاد به العلاج النفسي الحديث ويمكننا بالمناسبة إدراج بعض الأبيات من قصيدته في وصف هذه القوى التي تقوم بضبط الدماغ والعقل :

تسع قوى تحسب للنفسٌية الخمس منها للقوى الحسٌية

السمع والإبصار ثم الشم والذوق واللمس الذي يعم

وقوة في العضلات واصله بهل يحرك الفتى مفاصله

وقوة يكون بها الفكر وقوة بها يكون الذكر

4. **<u>الأخلاقيات الطبية عند ابن سينا:</u>**

- **الجراحة والتخدير**: يعرف التخدير على أنه فقدان الإحساس في سائر الجسم أو في بعضه في وقتنا الحالي أين تداولنا مفهوم التخدير المحلي أو الموضعي أو الجزئي الذي به يتم فقدان الحواس لوظيفته الطبيعية، أما سابقا فكان التخدير مرتبطا مباشرة بفقدان الوعي طيلة المدة التي تتم فيها الجراحة أو الاستئصال ، الدراسات التاريخية أن ابن سينا هو أول من استخدم (المرقد) **تخفيفا لألمه ومعاناته** .

وقد ذكر ابن سينا "**الخشخاش**"(هو المعروف بأبي النوم والخشخاش هو اسم جنس من النباتات تضم أنواعا وأصنافا ينوف عددها عن مائة؛ ينمو بعضها بصورة عفوية في الحقول، وبعضها يزرع في الحدائق للزينة).
ودوره في عملية التخدير احترازا للألم الذي يلحق بالمريض وبهذا فقد كان ممن أسسوا للأخلاقيات الطبية منذ زمن طويل؛ في كتاب القانون دائما يفصل :" للخشخاش أصناف كثيرة ، منها ما يستخرج منه الأفيون (المسكن)، وأما عمل استخراج الأفيون فإن الناس من يأخذون رؤوس

الخشخاش الأسود ويدقها، ويخرج عصارتها بالمعصرة، ويصير في صلابة ويسحقها، ثم يعمل منها أقراص، وهو أضعف من الأفيون الذي إنما هو ضمغة، وأما صمغة الخشخاش فإنما تستخرج إذا أزال عنه الظل الذي يقع على النبات بأن يشق بالسكين حول رأس الخشخاش شقا رقيقا، بقدر ما لا يثقب، ويشرط جوانب الخشخاش شرطا ابتداؤه من الشق الأول مارا على استقامة ولا يعمق الشرط، فإذا نبع لبنه وصمغه أخذ بالأصبع ويجمع في صدفة..."(لمزيد من التفاصيل راجع القانون الجزء الخاص بالنباتات الطبية (الصيدلة).

هذا ولا يخفي ابن سينا خطره على صحة الإنسان وينصح في استخدامه بوعي وعقلانية وحذر " وفيه خطر كما في الأفيون ....إلا أنه يخلط ببعض الأدوية المانعة لمضرته ، فيقلل ضره..."

وعن **التخدير بالتبريد** يقول ابن سينا فى كتابه القانون: "ومن حملة ما يخدر الماء المبرد بالثلج تبريداً بالغاً: " ويصف استعمال التبريد كمخدر موضعى كما فى جراحة الأسنان فيقول: "يؤخذ الماء بالثلج أخذاً بعد أخذ حتى يخدر السن فيسكن الوجع وإن كان ربما زاد فى الابتداء".

ثم يتحدث عن التبريد كمخدر قبل عمليات البتر وتعتبره هذه أول إشارة فى تاريخ العلم إلى التخدير بالتبريد وقد أصبح هذا العلم اليوم من أهم عناصر الجراحة الكبيرة فى عصرنا الحديث واستعمل خاصة فى العمليات الصعبة مثل عمليات (القلب المفتوح) واستئصال الرئة وزرع الكلى. وهكذا يعتبر اكتشاف التخدير الخطوة الأولى فى تقدم علم الجراحة عند المسلمين وفى أوربا فيما بعد؛ كما كان سباقا إلى التعريف واستعمال **اليبروج** (اليبروج: وهو اللفاح الواحدة منه لفاحة وهي نبتة غليظة الجذر تتشعب إلى شعبتين كأنهما ساقان ، لذلك شبه النبات بالإنسان ولهذا يسمى يبروحا. وهو معروف في الطب القديم كما عند ديسقوريدوس).

لطفا ورحمة بالمرضى يصفه فيقول :"... **هو مخدر وهو مسبت منوم** ، وإذا وقع في الشراب أسكر سكرا شديدا ويتخذ لدفع السهر بشراب يزيل السهد،...، ومن أراد أن يقطع له عضو يسقى من اليبروج في شراب مسبت، ويسقى من يحتاج أن يكوى أو يختن أو يبط، فإنه إذا شرب منه لم يحس بالألم ، لما يعرض له من الخدر والسبات..."(راجع: القانون في الطب الكتاب الأول (الامور الكلية في علم الطب ؛ الفن الرابع: الفصل الحادي والثلاثون **في تسكين الأوجاع**).

وعن الجراحة والتدابير الأخلاقية في علاج الأمراض كما سبق وذكرنا في المباحث السابقة نعلل من خلال ما جاء على لسانه في فصل عن حصاة الكلية وسببها ثم يعرض فصلًا لعلاج الحصاة: "لنذكر هنا المعالجات التي تكون للكلية خاصة والمشتركة بها مع حصاة المثانة، ثم نورد لحصاة المثانة بابًا

منفردًا وعلاجات مفردة خاصة، والأعراض التي تقصدها الأطباء في علاج الحصاة، قطع مادتها ومنع تولدها بقطع السبب وإصلاحه ثم تفتيتها وكسرها، وإزعاجها وإبانتها من متعلقها بالأدوية التي تفعل ذلك ثم إخراجها والتلطف فيه وترتيبه، وذلك يتم بالأدوية المفردة، أو بمعونات من الخارج. **ثم تدبير وتسكين** الأوجاع وإصلاح ما يعرف معها من قروح. وقد يتصدى قوم لإخراجها من الشق بالخاصرة ومن الظهر وهو خطر عظيم وفعل من لا عقل له".

و يضيف موضحا معنى نبات **الشويكران أو الشيكران** :"...يمنع نزف الدم، ويجمد الدم، وإذا طلي على موضع الشعر منع تبريده نبات الشعر. عصارته تستعمل في أوجاع العين والصدر...وينفع في وجع الأرحام... "

وهكذا نجد ابن سينا مفصلا وشارحا ومعللا كل أنماط وأشكال الممارسات الطبية من أبسطها فعلا إلى أعقدها حلولا ومن تنظيرها إلى ممارستها دون ملل أو كلل، فهل من أخلاقيات أسبق وهل من بيوتيقا قبل ابن سينا أو بعده رغم قلة الأجهزة والوسائل والتقنيات؟

هل من حلول سيناوية لعلاج الكورونا كوفيد 19 لوأمعنا النظر في ابن سينا وشرحنا الفيروس طبا في مخبر الضمير الحي السيناوي كفانا عبثا بأرواح الناس وكفانا عبثا بعقول البشر الذين تحولوا إلى آلات بيولوجية لا يرون في مهنة الطب إلا بعدها العلمي دو ن مراعات النفس التي لايمكن فصلها عن البدن ويمكننا الوقووف عند أقواله الشعرية ختاما لهذه الدراسة كمايلي:

ومادة الحواس من نفس العصب لأنها لمسلك الروح سبب

وهذه الروح من الأنفاس فهي تحفظ الخلق كالأساس

معدنها الدماغ من الإنسان وهو سماها وبها للبنان

سبع أزواج من الأعصاب تنشأ من الدماغ لأسباب

بها تكون قوة الحواس الخادمة بنفسها للناس.

5. **الخاتمة:**

الطب كعلم حديث هو علم واحد، إذ مفهوم العلم يتضمن كونه علما للإنسان بما هو إنسان. ولكن مشكلات الطب وطبيعة الموضوع محل التعامل وهو الإنسان ليس

واحدا في كل المجتمعات؛ وإنما المشكلات الطبية تختلف من مجتمع إلى آخر وطبيعة الإنسان الذي يفترض أن يقوم الطب بمعالجته أيضا تختلف من مجتمع لآخر وهذا ما جعل المجتمعات الغربية المعاصرة تهمل الجانب الروحي والنفسي للأخلاقيات الطبية والتي استمدها ابن سينا وغيره من علماء أمتنا وأطبائها من **القرآن الكريم ومن نظرته للكون الذي خلق كل شيء فيه بميزان**، وهذا بالضبط ما أردنا الوصول إليه من خلال دراستا لجزء يسير من قانون الطب لابن سنا لنبين فقط أن علم الإنسان في الطب الإسلامي والطب السنوي هو طب إنساني وأن الكرامة الإنسانية محفوظة ، جسما ،جسدا وبدنا ، روحا ونفسا وعقلا وأن الإنسان متكامل كما بين لنا الشيخ الرئيس في قصائده العلمية الطبية التي لا تضاهيها علو م ولا جماليات ولا إبداعات شعرية إلى أيامنا هذه وهذا ما عبرنا عنه ضمنيا من خلال بعض تفاصيل الطب السيناوي الذي لا يسعنا المقال لذكر كل تفاصيلها وخباياها.

المصادروالمراجع

1- ابن سينا((توجد عدة نسخ pdf).**القانون في الطب**، دار صادر،بيروت ،ج1 ؛ج2؛ج3 .
2- ابن سينا : الشفاء.
3- ابن أبي أصيبعة.(1965م) .عيون الأنباء في تاريخ الأطباء ، ،بيروت ، لبنان منشورات دار مكتبةالحياة.
4- العابد،برهان.(1999م).**مختارات من تاريخ الطب**، منشورات جامعة دمشق.
5- العيادي، سالم.(2016م). سياسة الحقيقة في فلسفة الفرابي(الميتافيزيقا والموسيقا)، صفاقس، تونس ، مكتبة علاء الدين ،ط1.
6- محمد،عاطف.(2003م) . **أشهر العلماء في التاريخ، علم أعلام الطب (ابن سينا)** ، القاهرة، مصر، دار اللطائف للنشر والتوزيع،ط1.
7- العقاد،محمد عباس.(2013م). **ابن سينا** ، القاهرة، مصر، مؤسسة هنداوي للطباعة ، ط1.
8- المعلوف،عيسى اسكندر.(2014م). **تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة**، القاهرة، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،عن النسخة المصورة (pdf) .
9- كرم ،يوسف.(1946م): **تاريخ الفلسفة اليونانية**، القاهرة، مصر.